مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 946-956

شعر نازك الملائكة؛ دراسة سيميائية؛ قصيدة "عاشقة الليل" أنموذجا

شكران مهدي ياسين
مديرية تربية ذي قار / قسم تربية الناصرية
shukrankhafaji@gmail.com

مستخلص البحث:
تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة قصيدة «عاشقة الليل» للشاعرة العراقية الرائدة نازك الملائكة من منظور سيميائي، انطلاقًا من أهمية العلامات والرموز في بناء الدلالة الشعرية الحديثة. وتنبع أهمية البحث من سعيه إلى تسليط الضوء على البنية السيميائية للنص الشعري، بوصفها مدخلًا فاعلًا لفهم الأبعاد الفكرية والجمالية التي تتجاوز المعنى الظاهري للقصيدة، ولا سيما في شعر نازك الملائكة الذي يتسم بالرمزية والعمق الوجداني.يسعى البحث إلى الكشف عن كيفية توظيف العلامات السيميائية الرئيسة في القصيدة، مثل: الليل، الشبح، العود، والرعد، ودورها في تشكيل النسق الدلالي العام للنص، مع التركيز على العلاقة بين الدال والمدلول وما ينتج عنها من أبعاد رمزية وفلسفية. كما يهدف إلى بيان قدرة الخطاب الشعري على تحويل التجربة الذاتية إلى خطاب إنساني عام عبر آليات التعبير غير المباشر.واعتمدت الدراسة المنهج السيميائي، القائم على القراءة الاستكشافية والتأويلية للنص، بوصفه منهجًا نقديًا قادرًا على تفكيك البنية الدلالية للقصيدة وتحليل نظام العلامات فيها، بما يسهم في إثراء الدراسات النقدية المعاصرة المتعلقة بالشعر العربي الحديث، ويفتح آفاقًا جديدة لقراءة تجربة نازك الملائكة الشعرية

الكلمات المفتاحية : نازك الملائكة . السيمائية . الرمز.

يُعدّ الأدب نشاطًا إنسانيًا إبداعيًا يتجسّد عبر اللغة بوصفها أداة التعبير الأولى عن التجربة الإنسانية، ويحتلّ الشعر موقعًا متميّزًا ضمن الأجناس الأدبية لما ينطوي عليه من كثافة دلالية وخصوصية لغوية تمنحه فرادته الجمالية. فاللغة الشعرية لا تكتفي بأداء وظيفة إبلاغية مباشرة، بل تتجاوزها إلى بناء عوالم رمزية وإيحائية، تُنتج المعنى عبر الانزياح والتكثيف والتلميح، مما يجعل النص الشعري قابلًا لقراءات متعددة وتأويلات متجددة. ومن هنا تغدو مقاربة الشعر تحليلًا وتأويلًا مسعىً للكشف عن طبقاته الدلالية العميقة، واستجلاء أبعاده الفكرية والجمالية الكامنة وراء ظاهر اللفظ.

وفي هذا السياق، يبرز التحليل السيميائي بوصفه أحد المناهج النقدية الحديثة القادرة على تفكيك بنية النص الشعري، عبر دراسة العلامات والرموز وأنساقها الدلالية. ويُقصد بالسيميائية علم دراسة العلامات وكيفية اشتغالها في إنتاج المعنى، سواء أكانت علامات لغوية أم غير لغوية. وقد ارتبط تأسيس هذا العلم باسم فرديناند دو سوسور وتشارلز ساندرس بيرس؛ إذ نظر سوسور إلى العلامة بوصفها علاقة ثنائية بين الدال والمدلول، وأطلق على هذا الحقل مصطلح *السيميولوجيا*، في حين قدّم بيرس تصورًا ثلاثيًا للعلامة (الدال، والمدلول، والمؤول)، وهو ما اصطلح عليه بـ *السيميائية* أو *السيميوطيقا*. ورغم هذا التمايز الاصطلاحي، درجت الدراسات النقدية المعاصرة – لأغراض إجرائية ومنهجية – على توحيد المصطلح والاكتفاء بـ السيميائية للدلالة على مجمل الدراسات التي تعنى بأنساق العلامات وتحليل دلالاتها، وهو ما يعتمده هذا البحث.

وتُعدّ السيميائية أداة إجرائية فاعلة في تحليل النصوص الأدبية، ولا سيما الشعر، لما تتضمنه من مفاهيم تحليلية مثل: ثنائية الدال والمدلول، والتمييز بين التقرير والإيحاء، والمحورين التركيبي والاستبدالي، وهي أدوات أسهم نقاد مثل رولان بارت في تفعيلها داخل الحقل الأدبي. ومن خلال هذه

الأدوات، لا يقتصر التحليل السيميائي على وصف العلامات، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن العلاقات التي تنتظمها، والقوانين الدلالية التي تحكم اشتغالها داخل النص.

ويكتسب شعر نازك الملائكة أهمية خاصة في هذا الإطار، لما ينطوي عليه من كثافة رمزية وعمق وجداني، جعلته مجالًا خصبًا لتجلّي العلامات السيميائية وتفاعلها. فبوصفها رائدة من روّاد الشعر الحر، لم يقتصر مشروعها الشعري على التجديد الشكلي والإيقاعي، بل انفتح على بناء رؤية شعرية قائمة على الرمز والإيحاء والتعبير غير المباشر عن التجربة الذاتية والوجودية. غير أن معظم الدراسات التي تناولت شعرها انشغلت بقضايا الريادة والوزن والتجديد، في حين لم يحظ الجانب السيميائي، ولا سيما تحليل العلامة الشعرية وآليات إنتاج الدلالة، بالعناية الكافية.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى مقاربة قصيدة »عاشقة الليل «مقاربةً سيميائية، للكشف عن كيفية توظيف نازك الملائكة للعلامات والرموز، مثل: الليل، والشبح، والعود، والرعد، ودورها في بناء النسق الدلالي للنص، وتحويل التجربة الذاتية إلى خطاب شعري إنساني عام. كما يهدف إلى إبراز ما تحمله هذه العلامات من أبعاد فكرية وجمالية تسهم في تعميق المعنى، وتؤكد قدرة الشاعرة على استثمار الرمز بوصفه أداة فنية لإنتاج الدلالة وتكثيف الرؤية الشعرية.

تعريف المصطلحات

السيمياء (السيميولوجيا/السيميوطيقا):

السيمياء هي العلم الذي يختص بدراسة العلامات بأنواعها المختلفة، سواء كانت لغوية أو غير لغوية، لفظية أو بصرية، طبيعية أو اصطناعية. وهي تُعنى بكشف آليات إنتاج المعنى وتشكّله من خلال العلاقات بين العلامات في السياقات المختلفة. ويعود الفضل في تأسيس هذا العلم إلى كل من فرديناند دو سوسير الذي ركّز على العلامة اللغوية من حيث كونها علاقة بين "دال" و"مدلول"، وتشارلز بيرس الذي طوّر نظرية العلامة لتشمل الأنظمة الرمزية والبصرية. وتُعد السيمياء أداة مهمة في النقد الأدبي لأنها تساعد على تفكيك النصوص واستنطاق دلالاتها العميقة، مما يمنح القارئ إمكانية الوصول إلى مستويات متعددة من التأويل. (أحمد فيصل، 2010، ص 8)

الرمز:

الرمز هو نوع من العلامات يتسم بعمق دلالي، حيث لا يقتصر على المعنى الظاهر وإنما يتجاوزه إلى معانٍ أوسع وأكثر تجريداً. فالرمز الشعري يستند إلى عنصر الإيحاء الذي يفتح أفق النص على احتمالات متعددة للتفسير. على سبيل المثال، قد يرمز البحر في الشعر إلى الحرية أو الغموض أو المجهول، بحسب السياق الذي يوضع فيه. ويُعَدّ الرمز في شعر نازك الملائكة أداة تعبيرية أساسية وظفتها لإبراز رؤيتها الوجودية وقضاياها الفكرية والاجتماعية، مثل رمز الليل، الموت، الطفولة، أو الأنثى. (الجنيدي، درويش، 1957، ص 32)

الدال والمدلول

يُقصد بالدال والمدلول أنّهما طرفا العلامة اللغوية؛ فـ الدال هو الجانب المادي المحسوس للعلامة، أي الصورة الصوتية أو الشكل اللفظي الذي يمكن إدراكه بالحواس، بينما المدلول هو المفهوم أو الفكرة الذهنية التي يحيل إليها هذا الدال في ذهن المتلقي. وبهذا يشكّلان معاً وحدة متكاملة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، إذ إن الدال يكتسب قيمته من المدلول، والمدلول لا يتحقق إلا من خلال الدال، وتُعد هذه الثنائية الأساس الذي تقوم عليه نظرية العلامة في الدراسات السيميائية.

(المعجم الفلسفي، 1983، ص 214)

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 946-956

المبحث الثاني

نازك الملائكة ، حياتها الأدبية و تراثها الشعري

أ. حياتها الأدبية

ولدت الشاعرة نازك الملائكة في بغداد في 23 أغسطس 1923، وهي شاعرة عراقية تنتمي إلى جيل الحداثة العربية بعد الحرب العالمية الثانية. نشأت في بيئة مثقفة، فقد كان والدها الشاعر والمؤلف صادق الملائكة، بينما كانت والدتها "أم نزر" شاعرة أيضًا. تلقت نازك الملائكة تعليمها في دار المعلمين العالية، ثم واصلت تحصيلها الأكاديمي حتى حصلت على رسالة الدكتوراه في النقد الأدبي من إحدى الجامعات الأمريكية. (ديوان نازك الملاٴكة ص : 2)

لقد أصبح اسم نازك الملائكة رمزًا بارزًا في الشعر العربي الحديث، حيث جسّد بعمق ثقافة عراقية أصيلة ذات جذور عريقة، متجذرة في مجتمع تاريخي قديم في منطقة ما بين النهرين، وهو ما انعكس في إثراء تجربتها الشعرية بمزيج من الوعي الثقافي والحس الجمالي الراقي.

عدت نازك الملائكة من الرائدات البارزات في الشعر الحديث، الذي عُرف لاحقًا باسم "الشعر الحر"، على الرغم من وجود جدل حول مسألة الريادة بينها وبين زميلها الشاعر بدر شاكر السياب. وقد أكدت نازك الملائكة في كتابها قضايا الشعر المعاصر أنها كانت أول من كتب قصيدة الشعر الحر، وهي قصيدة "الكوليرا" عام 1947، بينما جاء بدر شاكر السياب في المرتبة الثانية في ديوانه أزهار ذابلة الذي نُشر في كانون الأول من نفس السنة.

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن هذا البحث لا يهدف إلى الدخول في مناقشات الجدلية حول الريادة، التي استمرت لأكثر من نصف قرن، وإنما يركز على الجوانب الفنية والدلالية في النصوص الشعرية. (ديوان نازك الملاٴكة ص : 3)

ب. دراساتها

اتبعت نازك الملائكة مسارًا تعليميًا متميزًا، حيث اجتازت اختبار مدخل المهنة في جامعة كامبريدج، وبعد اجتيازه سافرت إلى الولايات المتحدة لمتابعة دراسة علم النقد الأدبي. درست نازك لمدة عام كامل بعد حصولها على منحة دراسية من مؤسسة روكفلر (Rockefeller Foundation)، حيث حضرت محاضرات في جامعة برينستون، نيوجيرسي. كما تعمّقت في دراسة لغات متعددة، منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية.

في عام 1954، عادت نازك للمرة الثانية إلى الولايات المتحدة لمتابعة دراساتها التربوية في جامعة ويسكونسن كممثلة عن جامعة العراق. وبعد عودتها إلى العراق في عام 1957، بدأت العمل كمحاضرة في كلية التربية، ولاحقًا انتقلت إلى جامعة البصرة لمواصلة نشاطها الأكاديمي والإسهام في تطوير الدراسات الأدبية. .

اهم مؤلفاتها الأدبية

عاشقة الليل (1947):

صدر هذا الديوان كأول مجموعة شعرية لها، ويُعدّ نقطة انطلاق مسيرتها الأدبية.

الكوليرا (1947):

تناولت هذه القصيدة مأساة وباء الكوليرا في مصر، الذي أودى بحياة المئات يوميًا، حيث سُجلت حالات وفاة تصل إلى 1000 شخص في اليوم في أواخر أكتوبر 1947. واستلهمت نازك الملائكة هذه القصيدة من الأخبار التي تناقلتها الإذاعة حول تفشي المرض والضحايا الذين واجهوا الموت بآلام شديدة، مع معاناة نفسية وجسدية شديدة. وتعكس القصيدة رثاء الشاعرة لمعاناة البشر، وتصويرًا دقيقًا للبؤس والمعاناة التي سببها الوباء، حيث يصف الناجون والصامتون الألم والمعاناة وكأنها عذاب لا ينتهي، مع فقدان الأمل في النجاة.وتُعتبر هذه القصيدة أول تجربة عربية للشعر الحر الحديث، إذ

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 946-956

ميزت بحرية ترتيب الصفوف والمحتوى، وأسلوب اللغة، وانتقاء الكلمات، مقارنة بالشعر العربي التقليدي.

المبحث الثالث
الإطار النظري عن السيميائية

أ. مفهوم نظرية السيميائية

السيميائية (Semiologie) تُعرّف اصطلاحًا بأنها علم العلامات أو علم الدلالات، إذ تقوم على الخلفية الإبستمولوجية لمفهوم الدلالة كما يوضح ذلك غريماس (Greimas)، حيث يرى أن العالم من حولنا في حالة بث متواصل للإشارات. فالمعاني ليست معطًى منفردًا، بل هي حصيلة لتراكم الإشارات وتفاعلها، وهي ملازمة لكل مظاهر الوجود، سواء كانت حية أو جامدة، عاقلة أو غير عاقلة. ومن ثمّ، فإن دور المتلقي يتمثل في إبداء الاستعداد للتلقي، ليباشر العقل عملية معقدة قوامها تفكيك الشبكات الإشارية واستخلاص الدلالات الكامنة في المحيط..(فيصل الأحمر، 2010، ص 8)

السيميائية هي علم يدرس أنساق العلامات على اختلاف أشكالها، سواء تمثلت في اللغة، أو الرموز، أو إشارات المرور، وغيرها من النظم الدلالية. ووفق هذا التعريف، تصبح اللغة جزءًا من النسق السيميائي العام. وقد صاغ فرديناند دي سوسير تصوره للسيميائية بوصفها علمًا يدرس حياة العلامات في إطار الحياة الاجتماعية، مؤكّدًا أن النص اللغوي هو الأكثر حضورًا من بين تلك الأنساق، إذ تُعَدّ اللغة نسقًا من العلامات التي تعبّر عن الأفكار. ومن هنا تقارن اللغة بالكتابة، وبإشارات الصمّ والبكم، وبالطقوس الرمزية، وبأعراف الآداب العامة، وكذلك بالرموز العسكرية وغيرها. وبهذا المعنى، فإن السيميائية تسعى إلى تأسيس علم مستقل يُعنى بدراسة العلامات في قلب الممارسة الاجتماعية.

يرجع أصل مصطلح السيميائية إلى الكلمة الإغريقية "سيميون" (Semion) التي تعني "العلامة". ويُعرّفها آر. فان زويست (Aart Van Zoest) بأنها العلم الذي يدرس العلامة وكل ما يرتبط بها من حيث طرائق أدائها وعلاقتها بالعلامات الأخرى، إضافة إلى قبولها من جانب مستخدميها. في حين يرى بول كوبلي (Paul Cobley) وليتزا يانز (Litza Janz) أن السيميائية هي الدراسة المنهجية لإنتاج العلامات وتفسيرها، مع بيان كيفية اشتغالها والفوائد التي تحققها للحياة الإنسانية. أما مفهوم العلامة ذاته فيُقصد به كل ما يمكن إدراكه بالحواس وتحديد دلالته في إطار نسق دلالي معين.."

(بيير جيرو، 2016، ص 5) يُعد من الصعب وضع تعريف واحد محدّد للسيميائية، على الرغم من أنّها تُفهم بوجه عام على أنّها علم العلامات. غير أنّ الإشكال يكمن في طبيعة هذه العلامات ذاتها، إذ تُعَدّ أساس الوجود وتمسّ مختلف جوانب الحياة الإنسانية. وقد قُدِّمت عدة تعريفات اقتربت بدرجات متفاوتة من جوهر السيميائية، إلا أنّ أبرز المحاولات في هذا السياق تعود إلى فرديناند دي سوسير، الذي بَشّر بقيام علم جديد يُعنى بدراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية. ويؤكد سوسير في هذا الصدد أنّ اللغة نسق من العلامات التي تعبّر عن الأفكار، وأنها تُقارن من حيث طبيعتها بالكتابة، وبأبجدية الصمّ والبكم، وبالشعائر الرمزية، وبالأعراف الاجتماعية، وبالعلامات العسكرية. ومن هنا يطرح إمكانية تأسيس علم مستقل يدرس حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية، وهو ما أطلق عليه اسم العلاماتية، باعتباره علماً يُعنى بكشف مكوّنات العلامات والقوانين التي تحكمها.

(معجم السيميائيات، 2010، ص 16) السيميائيات ليست علماً ذا موضوع حصري، بل تنشغل بكل ما يرتبط بالتجربة الإنسانية اليومية، بشرط أن تكون هذه الموضوعات جزءاً من عملية دلالية. أما الموضوعات المنفصلة عن نسيج السميوز فلا يمكن أن تمثل مدخلاً لفهم الذات الإنسانية أو وسيلة للتعبير عنها.. (سعيد بذكر، 2012، ص 28) إن تركيز السيميائيات العامة على المظهر الموضعي في الأنساق الدالة لا يعني بالضرورة أنه يمثل محور اهتمامها الأساسي؛ فهي ليست علماً وصفياً يكتفي برصد الظواهر، ولا علماً تطبيقياً يقتصر على الاستخدامات، وإنما تسعى إلى بناء نموذج نظري قادر

على استيعاب مختلف الوقائع السيميائية وإخضاعها لمنظومة موحدة من الفهم والتحليل. ويتحقق ذلك من خلال صياغة خطاب نظري خالص يمكّنها من تناول موضوع العلامة بوصفها مفهوماً جامعاً قابلاً للتفسير ضمن إطار معرفي شامل.. (عبد القادر فهيم الشيباني، 2008، ص 5)

إن مصطلح السيمياء في العربية، الذي يقابل عند الغربيين مصطلحي السيميوطيقا أو السيميولوجيا، يعد في أصله وجذره ومولده كلمة عربية خالصة، وهو ما تؤكده الاشتقاقات المختلفة التي انبثقت عنها من جهة، وكثرة النصوص الفصيحة التي وظفتها في سياق الدال والمدلول من جهة أخرى، إذ أشارت هذه النصوص إلى مفهوم العلامة بشكل مباشر أو من خلال مقاربة دلالية ضمن بحوث ودراسات متعددة. ويشير عبد الجليل مرتاض إلى مفارقة لافتة في البنية الصوتية والفونولوجية بين الكلمتين: العربية "السيمياء"، والإغريقية "سيمون". فالكلمة العربية تتألف من صامت (س) يليه صامت (ميم) ثم صامت (ألف) وصامت (همزة)، بينما تتكون الكلمة الإغريقية من صامت (سين) يتبعه صامت قريب من الياء، ثم (ميم)، فصامت (ياء)، وصامت (واو)، وتنتهي بنون صامتة غير منطوقة. ورغم هذا التباين البنيوي، يظل التشابه الصوتي قائماً بينهما، ويؤدي في النهاية إلى مدلول واحد هو: العلامة.ومن ثمّ، يمكن القول إن الكلمتين العربية والإغريقية تعودان إلى أصل لغوي قديم مشترك، أو أن إحداهما تأثرت بالأخرى، وهو ما يبرز التداخل التاريخي بين اللغات في إنتاج المصطلحات وتداول المفاهيم. ولا يرتبط هذا الأصل بالسامية الأم وحدها، ولا حتى بما يسمى باللغة "التوحيدية" الأبعد التي انبثقت عنها السامية والحامية، الأمر الذي يؤكد أن ادعاء الأصالة المطلقة للغة بعينها أمر غير ممكن، ويكشف في المقابل عن الطبيعة التفاعلية والتبادلية للغات الإنسانية في حقول الفكر والدلالة.. (آسيا جريوي، 2013، ص 326-337)

ب السيميائية واللغوية

اتجه فرديناند دو سوسير منذ البداية في دراسته للسيميائية نحو اللغات الطبيعية، إذ رأى أن هذه اللغات تمثل أكثر الأنظمة قابلية للتطبيق في إطار السيميائية، وذلك لاعتبارات عدة. أولها أن العلاقة بين المفردات ومدلولاتها علاقة اعتباطية، وثانيها أن اللغة يمكن اختزالها في مجموعة من العلامات المستقلة والمتميزة. ومن هذا المنطلق، يمكن اعتبار اللغة نموذجًا صالحًا لدراسة جميع الأنظمة الدالة غير اللغوية. وبناءً عليه، تُعد اللغة أهم منظومة تواصلية وأكثرها فعالية في مجال المعرفة.. (عبد القادر فهيم الشيباني، 2008، ص 5)

ج منهج الريفاتير (Riffaterre)

تعد نظرية السيميوتيك عند ميكائيل ريفاتير من أبرز وأقوى النظريات في مجال السيميائية، وذلك لكونها تشغيلية للغاية، إذ تمكّن الباحث من الوصول إلى النص من خلال تفاصيله الدقيقة، كما أنها قابلة للتطبيق في تحليل الدراسات الشاملة للنصوص.

ميكائيل ريفاتير (1924 – 2004م) كان أستاذًا جامعيًا وحاصلًا على شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام 1955م. وقد استعرض في كتابه "سيميائية الشعر" (Semiotics of Poetry) خصائص الشعر من منظور علم العلامة، مشيرًا إلى مفهوم التعبير غير المباشر، وهو إظهار الفكرة بطريقة غير مباشرة، ولكن بأسلوب يسمح بتحقيق المعنى بطريقة مغايرة.

ويرى ريفاتير أن هذا التعبير غير المباشر يحدث نتيجة ثلاثة أحوال رئيسية:

1. تبديل المعنى (Distorting of Meaning): حيث يتم تحويل المعنى الأصلي للكلمة أو العبارة.
2. إزاحة المعنى (Displacing of Meaning): حيث يُنقل المعنى من سياقه الأصلي إلى سياق جديد.
3. ابتكار المعنى (Creating of Meaning): حيث يُستحدث معنى جديد لم يكن موجودًا مسبقًا، ما يتيح إنتاج دلالات إضافية للنص .

يرى ريفاتير (Riffaterre) أن تبديل المعنى يرتبط غالبًا باستخدام أدوات الاستعارة (Metaphor) والكناية (Meronym) في النصوص الأدبية. فـ الاستعارة تمثل لغة مثيلية تُظهر العلاقة بين الأشياء أو المفاهيم دون استخدام كلمة "مثل" أو أي أداة مقارنة صريحة، كما في أمثلة مثل "الكف" و"المثل" وغيرها، حيث يُستبدل الشيء المشار إليه بشيء آخر له صلة أو تماثل دلالي، مما يتيح للنص إنتاج معانٍ جديدة وغير مباشرة.. (عبد القادر فهيم الشيباني، 2008، ص 11)

تحليل سيميائي لقصيدة عاشقة الليل

أولا : ابيات القصيدة

عاشقة الليل

ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أنْظرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُحوبِ
جاء يَسْعَى، تحتَ أستاركَ، كالطيفِ الغريبِ
حاملاً في كفّه العودَ يُغنّي للغُيوبِ
ليس يَعْنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ
هو، يا ليلُ، فتاةٌ شُهد الوادي سُرَاها
أقبلَ الليلُ عليها فأفاقتْ مُقْلتاها
ومَضتْ تستقبلُ الواديْ بألحانِ أساها
ليتَ آفاقَكَ تدري ما تُغنّي شَفَتاها
آهِ يا ليلُ ويا ليتَكَ تدري ما مُنَاها
جَنَّها الليلُ فأغرتها الدَيَاجي والسكونُ
وتَصبَّاها جمالُ الصَمْتِ، والصَمْتُ فُتُونُ
فنَضتْ بُرْدَ نهارٍ لفّ مَسْراهُ الحنينُ
وسَرَتْ طيفاً حزيناً فإذا الكونُ حزينُ
فمن العودِ نشيجٌ ومن الليلِ أنينُ
إيهِ يا عاشقةَ الليلِ ووادِيهِ الأغنّ
هوذا الليلُ صَدَى وحي ورؤيا مُتَمنّ
تَضْحكُ الدُنْيا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْنِ
فخُذي العودَ عن العُشْبِ وضُمّيهِ وغنّي
وصِفي ما في المساءِ الحُلْوِ من سِحْرٍ وفنّ
ما الذي، شاعرةَ الحَيْرةِ، يُغْري بالسماءِ؟
أهي أحلامُ الصَبايا أم خيالُ الشعراء؟
أم هو الإغرامُ بالمجهولِ أم ليلُ الشقاءِ؟
أم ترى الآفاقُ تَستهويكِ أم سِحْرُ الضياءِ؟
عجباً شاعرةَ الصمْتِ وقيثارَ المساء
طيفُكِ الساري شحوبٌ وجلالٌ وغموضُ
لم يَزَلْ يَسْري خيالاً لَفّه الليلُ العريضُ
فهو يا عاشقةَ الظلْمةِ أسرارٌ تَفيضُ
آه يا شاعرتي لن يُرْحَمَ القلبُ المَهيضُ
فارجِعي لا تَسْألي البَرْقَ فما يدري الوميضُ
عَجَباً، شاعرةَ الحَيْرةِ، ما سرُّ الذُهُولِ؟

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 946-956

ما الذي ساقكِ طيفاً حالماً تحتَ النخيلْ؟
مُسْنَدَ الرأس الى الكفين في الظلِّ الظليلْ
مُغْرَقاً في الفكر والأحزانِ والصمتِ الطويلْ
ذاهلاً عن فتنةِ الظلْمة في الحقل الجميلْ
أنْصتي هذا صُراخُ الرعْدِ، هذي العاصفاتُ
فارجِعي لن تُدْركي سرّاً طوتْهُ الكائناتُ
قد جَهِلْناهُ وضنّتْ بخفاياهُ الحياةْ
ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةْ
فارحمي قلبَكِ، لن تَنْطِقُ هذي الظُلُماتُ (ديوان نازك الملائكة ،ص 546)

صدرت لها أول مجموعة شعرية، وقد سميتها "عاشقة الليل" لأن اللي كان يرمز عندها إلى الشعر والخيال والأحلام المبهمة وجمال النجوم وروعة القمر والماع الدجلة تحت الأضواء. شعر "عاشقة الليل "النازك الملائكة اطلقته الشاعرة على ديوانها الذي الفت في ١٥ السنة ١٩٤٧ م، وهي اول مجموعة شعرية . " . يتكون هذا الشعر ٤٠ بيت. فيه قصة عن الحزن الشاعرة بسبب الموت زوجها. (أحمد فيصل، 2010، ص 8) بعد قراءة هذه القصيدة، تتضح المعاني المتعددة التي تنبثق منها كنتاج أساسي لتجربة الشاعرة، والتي يمكن تفسيرها من خلال التحليل. فالعنوان "عاشقة الليل" للشاعرة نازك الملائكة يشير إلى تجربة الشاعرة في التعبير عن شكواها خلال الليل نتيجة فقدان زوجها، حيث ينعكس الألم الشخصي في النص الشعري.

التحليل السيميائي لقصيدة «عاشقة الليل»

تقوم قصيدة «عاشقة الليل» لنازك الملائكة على بناء دلالي كثيف، تُشكّله شبكة من العلامات السيميائية التي تتداخل فيها الطبيعة بالحالة النفسية، والذاتي بالكوني، في إطار رؤية شعرية يغلب عليها الحزن والاغتراب الوجودي. ولغرض الوقوف على آليات اشتغال العلامة الشعرية، سيتم تحليل نماذج مختارة من مطلع القصيدة ووسطها وخاتمتها، مراعاةً للتنوع الدلالي وتطور النسق الرمزي.

أولًا: تحليل الأبيات الخمسة الأولى

ظلامَ الليلِ يا طاويَ أحزانِ القلوبِ
أنْظُرِ الآنَ فهذا شَبَحٌ بادي الشُحوبِ
جاء يَسْعَى، تحتَ أستارِكَ، كالطيفِ الغريبِ
حاملاً في كفّه العودَ يُغنّي للغُيوبِ
ليس يَعْنيهِ سُكونُ الليلِ في الوادي الكئيبِ

يفتتح النص بنداء موجَّه إلى الليل، الذي يتحول من زمن طبيعي إلى علامة سيميائية مركزية. فالليل هنا لا يُحيل إلى الظلام الفيزيائي، بل يُستدعى بوصفه حاملًا للأحزان ومخزنًا للآلام المكبوتة، وهو ما يتجلى في وصفه بـ«طاوي أحزان القلوب». إن هذا التحول من الدلالة الحسية إلى الدلالة النفسية يكشف منذ البدء عن وظيفة الليل بوصفه فضاءً داخليًا للذات الشاعرة.ويظهر الشبح بادي الشحوب بوصفه علامة أخرى محمّلة بالإيحاء، إذ لا يُفهم الشبح هنا على مستواه الواقعي، بل يحيل إلى ذكرى الفقد والموت والغياب، وهو تمثيل رمزي للألم العالق في الذاكرة. إن مجيء الشبح «كالطيف الغريب» يعزز دلالة الاغتراب، ويشير إلى أن هذا الحزن ليس طارئًا، بل متجذر في الوعي.أما العود والغناء للغيوب، فيمثلان محاولة رمزية للتواصل مع ما هو غائب أو متعذر حضوره، سواء أكان ذلك شخصًا مفقودًا أم معنى وجوديًا غامضًا. فالعود هنا ليس أداة موسيقية فحسب، بل علامة على التعبير الجمالي عن الألم، حيث يتحول الحزن إلى فعل فني.

وتتأكد هذه الدلالة حين تُقابل حركة الشبح الداخلية بسكون الليل الخارجي، في إشارة إلى أن الاضطراب النفسي يتجاوز هدوء العالم المحيط .وهكذا تتآزر العلامات (الليل، الشبح، العود، السكون) لتشكّل نسقًا دلاليًا يعكس حالة الانكسار والاغتراب.

ثانيًا: تحليل أبيات من منتصف القصيدة

إيهِ يا عاشقة الليلِ ووادِيهِ الأغنّ
هوذا الليلُ صَدَى وحيٍ ورؤيا مُتَمنّ
تَضْحكُ الدُنْيا وما أنتِ سوى آهةِ حُزْن
فخُذي العودَ عن العُشْبِ وضُمّيهِ وغنّي
وصِفي ما في المساءِ الحُلْوِ من سِحْرٍ وفَنّ

في هذا المقطع، يتطور النسق السيميائي من الحزن الخالص إلى الحزن المبدع .فالمناداة بـ«عاشقة الليل» تُحوّل الذات الشاعرة إلى كيان مندمج مع الليل، لا بوصفه مأساة فقط، بل بوصفه مصدرًا للوحي والإلهام .وهنا يصبح الليل علامة مزدوجة تجمع بين الألم والخلق الفني.

ويبرز التناقض السيميائي في مقابلة ضحك الدنيا بـآهة الحزن، وهو تضاد دلالي يكشف اغتراب الذات عن العالم الخارجي، حيث يبدو الفرح المحيط غير ذي صلة بمعاناتها الداخلية. هذا التضاد لا يُعبّر عن شكوى مباشرة، بل يُبنى عبر علامة لغوية إيحائية.

كما يعود العود والغناء ليؤديا وظيفة سيميائية جديدة، إذ يتحولان من أداة شكوى إلى وسيلة تحويل الألم إلى جمال .فالغناء هنا ليس هروبًا من الواقع، بل إعادة تشكيله فنيًا، مما يمنح النص بعدًا جماليًا وإنسانيًا.

ثالثًا: تحليل أبيات الخاتمة

أنْصتي هذا صُراخُ الرعْدِ، هذي العاصفاتُ
فارجِعي لن تُدْركي سرّاً طوتْهُ الكائناتُ
قد جَهِلْناهُ وضَنّتْ بخفاياهُ الحياةْ
ليس يَدْري العاصفُ المجنونُ شيئاً يا فتاةْ
فارحمي قلبَكِ، لن تَنْطِقُ هذي الظُلُماتُ

في خاتمة القصيدة، تبلغ العلامات ذروتها الفلسفية. فالرعد والعاصفات لا تحيل إلى ظواهر طبيعية فحسب، بل ترمز إلى القلق الوجودي والصراع الداخلي .غير أن هذه العواصف، على شدتها، تعجز عن كشف «السر» الكامن في الوجود، مما يؤكد فكرة عجز المعرفة الإنسانية.

وتتجسد الظلمات بوصفها علامة نهائية للغموض والصمت، فهي لا تنطق ولا تكشف، مما يفضي إلى دعوة ضمنية للعودة والرحمة بالذات. وهنا يتحول الخطاب من استكشاف الخارج إلى حماية الداخل، في حركة دلالية ختامية ذات بعد إنساني عميق. يُظهر التحليل السيميائي أن قصيدة «عاشقة الليل» تقوم على نسق علاماتي متماسك، تتفاعل فيه رموز الليل والطبيعة والموسيقى لتجسيد تجربة وجدانية مركبة. فالعلامة في شعر نازك الملائكة لا تؤدي وظيفة تزيينية، بل تُسهم في إنتاج المعنى، وتحويل الألم الشخصي إلى خطاب شعري ذي أفق إنساني عام.

خاتمة البحث

بعد هذه الرحلة التحليلية في أعماق النص الشعري لنازك الملائكة، يمكن القول إن هذه الدراسة قد سعت إلى تفكيك البنية السيميائية في قصيدة "عاشقة الليل" وكشف الآليات التي تنتج من خلالها المعنى. وقد اتضح أن الشاعرة لم تترك العلامات والرموز عبثاً، بل وظفتها توظيفاً واعياً يحمل رؤية فنية وفلسفية متجذرة في تجربتها الإنسانية والأدبية. وتم تحليل هذه العلامات من خلال ثنائية الدال والمدلول، حيث مثل "الليل" رمزًا مركزيًا متعدد الأبعاد، يجمع بين الحزن والعزلة والإلهام

والغموض الوجودي. كما أظهر التحليل كيف وظفت الشاعرة هذه الرموز لتعبير غير مباشر عن ألمها الشخصي (فقدان الزوج)، محولةً إياه إلى تجربة جمالية وإنسانية عامة.

توصلت الدراسة إلى أن نازك الملائكة نجحت، من خلال توظيفها السيميائي الماهر، في خلق لغة شعرية حديثة تزاوج بين الذاتي والكوني، مما يؤكد عمق رؤيتها الفنية ويوسع من آفاق تأويل نصها الشعري لقد أكد التحليل أن الليل ليس مجرد ظاهرة طبيعية في قصيدة "عاشقة الليل"، بل هو فضاء سيميائي مركزي تلتقي فيه كل العلامات والدلالات. فهو يمثل الحزن، والعزلة، والإلهام، والغياب، والوجود، مما يجعله علامة غنية ومتشابكة تحمل مضامين وجدانية وفكرية عميقة. كما أن الرموز الأخرى مثل "الشبح"، "العود"، "الرعد"، و"الظلمات" شكلت معاً نسقاً دلالياً متماسكاً يعبر عن حالة من الحيرة الوجودية والألم النفسي لفقدان الحبيب، وفي الوقت نفسه، عن السعي الجمالي لتجسيد هذا الألم عبر الفن والغناء. وهكذا، لا تنفصل السيميائية هنا عن التجربة الذاتية للشاعرة، بل تصبح وسيلتها الأكثر قدرة على التعبير عن العالم الداخلي المعقد. لقد نجحت نازك الملائكة، من خلال هذا التوظيف الرمزي، في تحويل التجربة الشخصية إلى خطاب إنساني عام، يتجاوز الذاتي إلى الكوني، مما يثبت مكانتها كرائدة من رواد الحداثة الشعرية العربية التي استطاعت أن تخلق لغة شعرية جديدة، تحمل في طياتها أبعاداً سيميائية ثرية تنتظر المزيد من الكشف والدراسة.

نتائج البحث

توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1. ثراء البنية السيميائية: تكشف قصيدة "عاشقة الليل" عن بنية سيميائية غنية ومعقدة، حيث تعمل العلامات والرموز ضمن نسق دلالي متكامل لإنتاج المعنى، بدلاً من العمل بشكل منفرد.
2. تعدد دلالات الرمز المركزي: تمثل علامة "الليل" الرمز المركزي المحوري في القصيدة، حاملاً لدلالات متعددة ومتداخلة، منها: الحزن والعزلة، والجمال والإلهام، والغموض والوجود، والموت والفناء.
3. التعبير غير المباشر عن الألم: وظفت الشاعرة الرموز (مثل الشبح، العود، العاصفات) لتكون أدوات للتعبير غير المباشر عن ألمها الشخصي (فقدان الزوج)، مما حول التجربة الذاتية إلى فضاء تأويلي أوسع يتلقفه القارئ.
4. جدلية الذات والكون: أظهر التحليل كيف أن السيميائية في القصيدة تخلق حواراً وجدلياً بين الذات المتألمة والعالم الخارجي (الكون، الطبيعة)، حيث تصبح الظواهر الطبيعية (الرعد، الظلام) مرآة عاكسة للحالة النفسية.
5. تحقيق الوظيفة الجمالية: أسهم التوظيف السيميائي في إضفاء بعد جمالي على مأساة الفقد، من خلال الربط بين الألم وبين عناصر الجمال والفن (الغناء، العود، سحر المساء)، مما يخلق لغة شعرية مكثفة ومؤثرة.
6. تأكيد ريادة نازك الفنية: يؤكد البحث أن ريادة نازك الملائكة لا تقتصر على الانزياح عن عمود الشعر فحسب، بل تمتد إلى قدرتها على تشكيل عالم رمزي دلالي عميق، يسبق ويواكب تحررها الشكلي.

توصيات البحث

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها، يوصي هذا البحث بما يلي:

1. دراسات سيميائية أوسع: إجراء دراسات سيميائية معمقة على بقية نصوص الديوان نفسه ("عاشقة الليل") وعلى دواوين نازك الملائكة الأخرى، للكشف عن الثوابت والمتغيرات في نظامها الرمزي.
2. مقاربات منهجية متنوعة: تطبيق مناهج سيميائية أخرى (مثل نموذج غريماس السيميائي السردي، أو سيميائية التواصل) على شعر نازك الملائكة لإضاءة نصوصها من زوايا تحليلية مختلفة.

3.مقارنات مع رواد الحداثة: إجراء دراسة مقارنة للبنية السيميائية في شعر نازك الملائكة وشعراء الحداثة الآخرين، مثل بدر شاكر السياب وأدونيس، لتحديد الخصائص المميزة لكل شاعر.
4.الاهتمام بالمناهج الحديثة: تشجيع الدراسات النقدية التي تتبنى المناهج النصية الحديثة (سيميائية، تفكيكية، تداولية) في مقاربة الشعر العربي الحديث، للخروج من دائرة الدراسة الانطباعية والتاريخية.
5.توثيق التراث الرمزي: الاهتمام بتوثيق وتحليل الرموز والأساطير المتكررة في الشعر العربي الحديث وفهم أبعادها الدلالية، مما يشكل مدخلاً لفهم الرؤية الفنية للشعراء.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية:

1.الملائكة، نازك. (1947). عاشقة الليل. مصر: دار العروبة.
2.الملائكة، نازك. (1962). قضايا الشعر المعاصر. بيروت: دار العلم للملايين.
3.بارت، رولان. (1986). عناصر السيميولوجيا. (أنور المرتجي، مترجم). بيروت: دار التنوير.
4.حمداوي، جميل. (2011). السيميائيات والسرد العربي. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.
5.سوسور، فرديناند دو. (1987). محاضرات في الألسنية العامة. (صالح القرمادي، مترجم). تونس: دار الجنوب للنشر.
6.الشاه، خليف الدين. (2016). تحليل قصيدة "يا واعظ الناس" للإمام الشافعي (دراسة سيميائية). مجلة جامعة كربلاء.
7.الأنور، خير. (2016). تحليل قصيدة "التينة الحمقاء" لإيليا أبي ماضي (دراسة سيميائية). مجلة الدراسات الأدبية.
8.مرتاض، عبد الجليل. (1998). في السيميائيات. الجزائر: دار هومة.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية:

1.Riffaterre, Michael1978). Semiotics of Poetry. Bloomington: Indiana University Press.
2.Cobley, Paul, & Jansz, Litza1999). Introducing Semiotics. UK: Icon Books.
3.Van Zoest, Aart1992). Semiotics. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
4.Greimas, A. J., & Courtés, J1982). Semiotics and Language: An Analytical Dictionary. Bloomington: Indiana University Press.

مجلة كلية التربية الاساسية
كلية التربية الاساسية – الجامعة المستنصرية
Journal of the College of Basic Education Vol.32 (NO. 135) 2026, pp. 946-956

Nazik Al-Malaika's Poetry: A Semiotic Study of the Poem *"The Lover of the Night"* as a Model

Shukran Mahdi Yaseen
Directorate of Education in Dhi Qar / Department of Education in Nasiriyah
Email: shukrankhafaji@gmail.com

Abstract

This study aims to approach the poem "Ashiqatu Al-Layl" (The Lover of the Night) by the pioneering Iraqi poet Nazik Al-Malaika from a semiotic perspective, based on the importance of signs and symbols in constructing meaning in modern poetry. The significance of the research stems from its attempt to shed light on the semiotic structure of the poetic text as an effective approach to understanding the intellectual and aesthetic dimensions that go beyond the poem's surface meaning, particularly in Nazik Al-Malaika's poetry, which is characterized by symbolism and emotional depth.

The study seeks to reveal how the main semiotic signs in the poem—such as night, shadow, oud, and thunder—are employed and how they contribute to shaping the overall semantic system of the text, with a focus on the relationship between the signifier and the signified and the symbolic and philosophical dimensions that arise from it. It also aims to demonstrate the ability of poetic discourse to transform personal experience into a universal human expression through indirect modes of articulation.

The study adopts the semiotic method, based on exploratory and interpretive reading of the text, as a critical approach capable of deconstructing the poem's semantic structure and analyzing its system of signs. This contributes to enriching contemporary critical studies of modern Arabic poetry and opens new horizons for reading Nazik Al-Malaika's poetic experience.

Keywords: Nazik Al-Malaika, Semiotics, Symbolism.